

الشبهة : هل أمية النبي (ص) تمنعه من تعلم القرآن؟

2019-05-08 اللجنة العلمية

مُحَمَّدٌ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ﷺ أُمِّيٌّ فَكَيْفَ عَلَّمَ الْقُرْآنَ؟

الجواب :

هُنَاكَ خِلَافٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي تَفْسِيرِ مَعْنَى الْأُمِّيِّ الَّذِي جَاءَ فِي مَوَاضِعٍ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (الأعراف:157). وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. (الأعراف:158).

وقد فُسرَّت هذه الكلمة عند معظم المسلمين بالذي لا يقرأ ولا يكتب، وأستشهد بعضهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ يَمِينُكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾. (العنكبوت:48). وقد اعتقد البعض أن هذا يعدُّ قَدْحًا في النبي أ وعلى أقلِّ تقديرٍ نقصاً في كماله، فعَدَم المعرفة بالقرآنة والكتابة مخالف للكمال، وقد برَّر البعض أمية النبي من باب دفع شبهة تعلم الرسول من مصادره أخرى.

وفي مُقابل هذا الرأي هناك روايات في مدرسة أهل البيت تنفي هذا المعنى عن الرسول ﷺ وتُفسرُ الأميِّ بمعنى أنه من أم القرى، ومنها ما رواه الشيخ محمد بن الحسن الصفار عن جعفر بن محمد الصوفي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن محمد بن علي الرضا عليه السلام وقلت له: يا ابن رسول الله لم سمي النبي الأمي قال: ما يقول الناس؟ قال: قلت له جعلت فداك يزعمون إنما سمي النبي الأمي لأنه لم يكتب. فقال: كذبوا عليهم لعنة الله أنى يكون ذلك؟! والله تبارك وتعالى

يقول في مُحكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، فَكَيْفَ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ مَا لَا يُحْسِنُ؟! وَاللَّهُ لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ بِأَثْنِي وَسَبْعِينَ أَوْ بِثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ لِسَانًا وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْأُمِّيُّ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَمَكَّةَ مِنْ أُمَّهَاتِ الْقُرَى، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ . وَرَوَى الشَّيْخُ الصَّدُوقُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَلْتُ: إِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَكْتُبْ وَلَمْ يَقْرَأْ فَقَالَ: كَذَبُوا لَعَنَهُمُ اللَّهُ أَنِّي يَكُونُ ذَلِكَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، فَكَيْفَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَلَيْسَ يُحْسِنُ أَنْ يَقْرَأَ وَيَكْتُبَ؟ قَالَ: قَلْتُ: فَلِمَ سُمِّيَ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ نُسِبَ إِلَى مَكَّةَ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، فَأُمُّ الْقُرَى مَكَّةَ فَقِيلَ أُمِّيٌّ لِذَلِكَ).

وغير ذلك من الروايات التي تشفسر الأمي بالنسبة إلى أم القرى، وهو تأويل منسجم مع ظاهر النص ولا يخالفه، ويمكن الجمع بين القولين بالقول: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَعْلَمُ الْقِرَاءَةَ وَالكِتَابَةَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُمَارِسْهُمَا لِحِكْمَةٍ كَانَتْ تَقْتَضِي ذَلِكَ مِثْلُ دَفْعِ شُبُهَةِ تَعَلُّمِ الرَّسُولِ مِنْ كُتُبِ الْآخَرِينَ.

وحتى لو لم يقبل صاحب السؤال هذا التفسير فإنَّ عدم القراءة والكتابة لا يعد إشكالا على كيفية تعلُّم القرآن وتعليمه؛ لأنَّ الله قد أنزل هذا القرآن بتمامه على قلب النبي ﷺ ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (97 البقرة). كما أنَّ التعلُّم والتَّعليم ليس موقوفاً على القراءة والكتابة فكثير من علماء الأمة كفي البصر وهم يُعلِّمون النَّاسَ مِنْ غَيْرِ قِرَاءَةٍ وَكِتَابَةٍ.